الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم

د/ محمود أحمد أبو كته الدراويش(*)

تمهيد:

ما من متتبع لكل من حدب على دراسة القرآن الكريم في السابقين واللاحقين وكذلك القادمين، إلا وهو يعلم علم اليقين أن كل هؤلاء الدارسين لم يبلغوا ولن يبلغوا حدّ الإحاطة ببعض جوانب أسراره، وأنهم ليسوا بالغين منازل إعجازه، وأن حظ هؤلاء جميعاً من الوقوف على دلائل إعجازه، وبراهين عظمته، وبديع صنعته، وسرّ أدائه وروعته، وإحكام نظمه، إنما يتأتى لكل واحد منهم على قدر طاقته من نتائج التفكرّ في كتاب الله، ومقدار حظه من إعمال العقل في تدبر آياته، وعلى مقدار ما منحه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من فضله لعباده في استكشاف ما فيه منْ غوامض الأسرار، وما قذفه الله من نوره في قلوب من اصطفاهم من عباده الأخيار.

وإن كل ناظر في كتاب الله ـ عزّ وجل ـ متأمل معانيه، متدبر آياته من ذوي الألباب والنهى لراجع بفيض لا يُعدُ ولا يحصى من وجوه الاعجاز، وهو إعجاز لا تتكشف أسراره، ولا تتجلى خفاياه، إلا لكل عالم ذي بصيرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾الآية ٢٢ من سورة الروم، فالعالمون هم وحدهم الأقدر على إدراك المعجزات، واستبصار الآيات. أما الجاهلون فهم غير قادرين على ذلك، وكذلك شأن المعاندين في الحق، الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم صداً عن سماع القرآن الكريم، وتدبر آيات الله

(*) أستاذ النحو والصرف المشارك بدائرة اللغة العربية ـ جامعة بيت لحم ـ فلسطين.

في كونه المنظور وكتابه المسطور، وصدق الله العظيم القائل فيهم: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾الآية ١٠٥ من سورة يوسف.

ولما كان العلماء هم الأقدر من غيرهم علىمعرفة الله، وإدراك صفات عظمته، ومعرفة إعجاز كتابه، وتدبّر آياته، لما كانوا كذلك فقد فضّلهم الله على غيرهم من الناس حين قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾الآية ٩ من سورة الزمر. وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾الآية ١١ من سورة المجادلة. فالعلماء هم الأوفر حظاً في إدراك الإعجاز القرآني، وهم أحرى الناس بالإيمان العميق والاعتقاد الراسخ، لأنه إيمان معزز باستبصار عظمة الله بكل ما لديهم من براهين لائحة وأدلة واضحة. إذ هم أولو النهى، وأولو الألباب، وهم الذين يتفكرون، وهم الذين يعقلون، وهم الذين يفقهون، وكل هؤلاء بآيات ربهم يؤمنون.

وفي كل زمان ومكان من أهله تتكشف لعباد الله فتوحات إلهية من إعجاز القرآن الكريم، وكشوفات جديدة للناس من عجائب أسرار هذا الكتاب. ألم تنكشف لنا في الوقت الحاضر الحقائق العلمية الواضحة الجلية التي هي تفسير لآيات الله، وتبيان لآيات عظمته، وعظيم معجزاته. في حين لم تكن هذه الأسرار العلمية معلومة للناس آنذاك، ولربما ذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى تنأى بها عن واقع الحق والحقيقة نظراً لأنهم لم يحيطوا بها علما. انظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾الآية ٨٨ من سورة النمل. لقد خفي إعجاز هذه الآية على السابقين وهم أساتذة البيان فلم يتأت لهم إدراك ما في هذه الآية من إعجاز علمي، لأنهم لم يفهموا المدلول منها، وعليه فقد فسّر القرطبي في عصره مرور الجبال مرّ السحاب وهي التي يخالها الناظر إليها جامدة

غير متحركة؟ بقوله: (وهـذا يـوم القيامـة. أي هـي لكثرتـها كأنـها جـامدة أي واقفـة في مـرأى العين، وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب) (القرطبي ج١٣: ٢٤٢) وإلى مثـل هـذا ذهـب أبو حيان الأندلسي حين قال في تفسيرها: (... وهذه الحـال للجبـال عقيـب النفخ في الصـور، وهي أول أحوال الجبال، تموج وتسير، ثم ينسفها الله فتصير كالعـهن ثم تكـون هبـاء في آخـر الأمر) (تفسير البحر المحيط ج٧: ٩٤).

أن دلالة الفعل (ترى)تحمل إعجازا لغويا وعلميا مذهلا، كان السلف ذاهلـين عنـه إذ إن الفعل (ترى) يـدل علـى اسـتمرار الحـال، وفي اسـتمرار الحـال مداومـة النظـر إلى الجبال باستمرار، فيخالها المرء جامدة، ولكنها في الواقع متحركة تحرك السحاب وهـذا ما توصل إليه العلم الحديث،فجاءت الدلالة متقنة الصنعة إتقـان المدلـول عليـه مصداقـا لقوله تعلى: (صنع الله الذي أتقن كل شيء).

أرأيت إلى الآية السابقة كيـف فُسّرت علـى نحـو يخـالف الحقيقـة الواقعـة الـتي توصل إليها العلم المعاصر؟ وهي حقيقة دوران الأرض حـول نفسـها بسـرعة ١٧٠٠كـم في الساعة تقريباً، وحول الشمس بسرعة ١١٠٠٠٠ كم في الساعة، وأن كلّ مـا فيـها مـن جبال وغيرها إنما هو دائر معها وتابع لها في حركتها و دورانها بسرعة ٣٠كم في الثانيـة (ثلاثين كيلومتراً في الثانية التي هي جزء من ستين جزءاً من الدقيقـة). فمتـى، تكشّـف للناس معرفة دلالة النص على الوجه الصحيح المطابق للواقع؟ إنما كان ذلك للناس اليوم بعد أن توسعت مداركهم، وانجلـت لهـم ألغـاز كثـيرة مـن علـم الفلـك والفضـاء والكـون الفسيح، في حين كان العقـل البشـريّ في فـترة مـن الزمـن قـاصراً عـن معرفـة كثـير مـن الحقائق العلمية والمعارف الكونية، لأن ذلك مبلغهم من العلم لا بل قد فسَّر بعـض منـهم آنذاك بعض الآيات القرآنية تفسيراً يتناقض والحقائق العلمية التي أثبتها العلم اليوم عن غير قصد. ومنهم أبو حيان الأندلسي الذي قال في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَهُـوَ الَّـذِي مَـدَّ

الأَرْضَ﴾الآية ٣ من سورة الرعد: (مدّ الأرض: يقتضي أنها بسيطة لا كرة، وهذا هو ظاهر الشريعة) (البحر المحيط ٥: ٣٥٥).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا﴾الآية ١٩ من سورة نوح (بساطاً: تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هي مبسوطة) (البحر المحيط ٨: ٣٣٤).

مع أنّ الدليل على كروية الأرض ملتمس من الآيتين الكريمتين الآتيتين: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾الآية ٣٠ من سورة النازعات، و: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾الآية ٥ من سورة الزمر. ودحاها: من الأُدحيّ والأُدحيّة والأُدْحُوّة: مبيض النعام في الأرض[1]. (اللسان: دحا) والكور: إدارة العمامة على الرأس، وكوّر العمامة على الرأس دوّرها (اللسان: كوّر) وبهذا يتضح لنا دليل كروية الأرض من لفظتي: "دحاها" و "يكوّر". والله أعلم. وفي ذلك يقول مؤلف كتاب: (أسرار الكون في القرآن ص ١٦٧) عن الآية السابقة: وهذه الآية هي أوضح الآيات دلالة لنا على كروية الأرض في الكتاب العزيز.

وكم في القرآن الكريم من آيات بينات لما كان وما هو كائن وما سيكون! وهذه الأزمنة الثلاثة إنّما هي للناس، أما عند الله فإن علمه قد تجاوز حدود الزمان والمكان بجميع أبعادهما، ومن جميل ما يحضرني في هذا المقام ما قاله الدكتور الكبيسي في بحثه المعنون بـ: (الإعجاز القرآني في وصف اليهود صفحة ٢٦ من مجلة: (بحوث المؤتمر الأول للإعجاز

---

(١) يقول صاحب كتاب: (أسرار الكون في القرآن ص ١٦٤) إن دحو الأرض يشير إلى ثلاث حقائق معجزة حول صفات الأرض وهي قد اجتمعت كلها في لفظ واحد، وهي:

١. الأرض منبسطة مسطحة للواقف عليها. وورد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: (وإلى الأرض كيف سُطحت) (الغاشية: ٢٠).
٢. مُساقة متحركة في مداراتها.
٣. بيضاوية أو إهليجية كما قد رآها رواد الفضاء وصورتها الأقمار الصناعية.

القرآني المنعقد بمدينة بغداد في الفترة الواقعة ما بين ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠ حيث قال: (إنه القرآن الكريم الذي قد هتك بإعجازه حجب الغيب في المكان والزمان في الماضي والحاضر والمستقبل. فقد هتك حاجب الغيب وحجابه في المكان حيث كان يخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما كان يدور خارج المكان الذي هو فيه متغلغلاً إلى أعماق نفوس أعدائه، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنْ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾الآية ٨ من سورة المجادلة.

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

حظي الإعجاز القرآني بنصيب وافر من اهتمام العلماء على مرّ الزمان، وقد صنّف فيه كثير منهم كالخطابي والرمّاني والزملكاني، والرازي، وابن سراقة والجاحظ، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، حيث جعل النظم والاستعارة مناط الإعجاز في القرآن الكريم، كما تحدث عن الإعجاز آخرون ضمن مصنفاتهم في علوم القرآن والتفسير ومن هؤلاء الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، وكذلك السيوطي في كتابيه (الاتقان في علوم القرآن)، وكذلك كتاب (معترك الأقران) في إعجاز القرآن حيث جعل الجزء الثالث من كتابه لوجوه إعجاز القرآن من صفحة ١٢ ـ ٣٩٩ وذكر خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز[٢]، وكذلك فعل كثير من المفسرين الذين عرّجوا على موضوع الإعجاز القرآني وهم يقدمون بين يدي تفسيرهم كالزمخشري وابن عطية، وأبو حيان الأندلسي والقرطبي. ومن

---

(٢) انظر كتاب: (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للرمّاني والخطابي والجرجاني ضمن الصفحات: ٢١-٧٢ و ٧٥-١١٣ و ١١٧-١٥٨ وانظر كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني ٣٨٥-٤٠٥ وإعجاز القرآن للباقلاني ٢١ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢: ١٠١-١٢٢، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢: ٣٢٤-٣٤٧ وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١: ٦٩-٧٨. ومعترك الاقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٣: ١٢-٣٩٩.

المحدثين مصطفى صادق الرافعي، ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده وعبد الكريم الخطيب ومحمد متولي الشعراوي وعبد المجيد الزنداني.

ونظراً لما امتاز به العصر الحاضر من ارتقاء العقل البشري في البحث العلمي المتعمق في مختلف ميادين الحياة، وما تبع ذلك من فتح علميّ هائل، وتطور معرفي مذهل، فقد صنّف جمع غفير من العلماء والباحثين في إعجاز القرآن الكريم من الناحية التشريعية واللغوية، والطبيّة، والفيزيائية والفكلية، والكيميائية، والهندسية والعددية وغير ذلك.

وسوف أتجنب في بحثي هذا التفصيل في وجوه إعجاز القرآن في مصنفات السابقين والمعاصرين، وإنما سأشير إلى هذه المصادر بغية الاختصار وتجنباً للوقوع في التكرار، وإنما سأتحدث عن الإعجاز القرآني من الناحية اللغوية، وارتباط الدلالة اللغوية في إعجازها بالحياة العملية ـ إن شاء الله ـ مع بيان وجوه هذا الإعجاز من خلال التطابق الواضح بين كتاب الله المسطور وكونه المنظور.

فمن وجوه إعجاز القرآن اللغوي:

أولاً: اطّراد تشابه النصّ القرآني في أسلوبه وموضوعه من أوله إلى آخره[٣]:

فالقرآن هو الكتاب العربي الفريد الذي جاء على نسق واحد متشابه في بديع نظمه، وفي جميع موضوعاته، وإنك لترى هذا النسق المتشابه في جميع آياته وسوره أسلوباً ونظماً، وفي كل ما احتواه مضموناً ومعنى، فلا تفاوت ولا اضطراب ولا اختلاف ولا تناقض في ألفاظه ومعانيه.

فانظر إلى أسلوبه في جميع آياته وسوره، وانظر إلى موضوعاته في كل مرّة تكرر الحديث فيها عن موضوعاته كالإيمان والكفر، وعقيدة التوحيد والشرك، وقصص

---

(٣) انظر إعجاز القرآن للباقلاني: ٣٥ـ٣٨ ودلائل الإعجاز للجرجاني: ٣٩ والبرهان في علوم القرآن: للزركشي ٢: ١١ـ١١٢ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢: ٣٣٦.

السابقين من الأنبياء والمرسلين وأقوامهم، وما واكب ذلك من صراع بين الإيمان وأتباعه، والكفر وأشياعه، وعاقبة أمر المكذبين لله ورسله، وما تضمنه من حكم بالغة ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب، وحديث عن الجنة ونعيمها والنار وجحيمها، ومشاهد يوم القيامة، وما يقدمه القرآن الكريم من نظرة شاملة وتصورات كاملة عن الله والكون والإنسان والحياة. إنك ترى أن كلّ ذلك لنموذج واحد في معناه ومبناه، وما على المرء إلا أن يتدبر قول الله: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾الآية ٨٢ من سورة النساء.

انظر إلى اطّراد إعجاز القرآن في جميع آياته وسوره القصار والطوال، وأمعن النظر في هذا النهج الموحّد مهما تكرر النص وتعدّد، ومهما تباعدت أزمنة أخباره المحكية أم قربت، فإنك ترى أن هدفها واحد مهما امتدت الأحداث وأغرقت

في الزمان والمكان، إنك ترى شاهد ذلك في الغاية من نزول الوحي من عهد آدم ـ عليه السلام ـ وانتهاء بنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ المنهج واحد منذ البداية والنهاية والأسلوب والغاية والعاقبة والنتيجة، وهو ما لا تراه في أي كتاب على ظهر البسيطه إلا في القرآن الكريم. ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾الآية ٣٥ من سورة الأعراف.

وها هي ذي آية أخرى تظاهر الآية السابقة وتتشابه معها في أسلوبها وموضوعها وإعجازها، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾الآية ١٣ من سورة الشورى.

إنه نسق واحد في الأسلوب المحكم، والهدف السامي المكرّم، ترى ذلك في الآية الثالثة الآتية: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥ من سورة النساء.

إن كل هذا الاطّراد والتشابه في أسلوب القرآن ومضمونه، وغايته وإعجازه إنما يجيء تصديقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾الآيتان ٢٢،٢٣ من سورة الزمر.

ثانياً: تأثير لغته في النفوس:

إن للقرآن عملاً في النفوس، وتأثيراً في القلوب ليس لغيره من الكتب، فسامعه مأخوذ به، محمول على مهاتفة نفسه ومساءلة خاطره ووجدانه فور سماعه وتدبر آياته عما فيه من إيقاع نفسي عميق، وتحليل منطقي دقيق، ألم يصنع صنيعه فيمن آمن به ومن لم يؤمن؟ وقصة إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في ذلك مشهودة، وقصة الوليد بن المغيرة بعد سماعه القرآن مشهورة. إن قارىء القرآن لا يمل قراءته، لأنه لا يخلق على كثرة الرد. وهو ما أشار إليه الرافعي في كتاب: (إعجاز القرآن ص ٢١٨) حيث قال: (ومما انفرد به القرآن وباين سائر الكلام، أنه لا يخلق على كثرة الرد، وطول التكرار، ولا تملّ منه الإعادة، وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تخل بأدائه، رأيته غضاً طرياً، وجديداً موفقاً).

إننا نقرأ الفاتحة صباح مساء وليل نهار، ونسمعها في كل حين، ومع ذلك فإنها تتراءى لنا جديدة في كل قراءة، متجددة على مرّ الزمن، وهو ما أشار إليه الخطابي أيضاً في رسالته: (بيان إعجاز القرآن: ٧٠) حيث قال: (قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس،

فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه. تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعرّ منه الجلود وتنزعج له القلوب).

وإلى قريب من هذا ذهب الزركشي في كتابه (البرهان ٢: ١١٤) فسبحان الله القائل: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾الآية ٢١ من سورة الحشر.

ثالثاً: الإعجاز الدلالي:

(أ) في مجال الفلك والفيزياء:

إنّ للنص القرآني مستوى معجزاً من الدلالة في التعبير عن المعاني في كل مظهر من مظاهر الكون و الحياة والإنسان، وإنّ هذا المستوى من التعبير لم يرقَ ولن يرقى إليه أي نصّ محكي، إذ إن كل كلمة منه جاءت في موضعها للدلالة على ماجيء بها للحديث عنه، ولا يصلح غيرُها في النيابة عنها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظمة هذا الإعجاز القرآني، وعلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي نزله، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي خلق كل شيء وأحسن خلقه تبارك الله أحسن الخالقين. فاستمع إلى قول الحق ـ جلّ وعلاَ ـ وانظر إلى إعجاز دلالة اللفظ ودقة وصف آيات الله المسطورة في التعبير عن آيات خلقه المنظورة في هذا الكون البديع النشأة، المتقن الصنعة. من سورة يس.

قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ *

لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾الآيات ٣٧ ـ ٤٠ من سورة يس.

أرأيت إلى قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ...﴾ وأمعن النظر في الفعل "نسلخ" لترى أن له من إعجاز الدلالة اللغوية ما يتسق ويتناسب مع إعجاز الظاهرة الكونية المتمثلة في تعاقب الليل والنهار، وهما آيتان من آيات الله في كونه المنظور كما دلّت عليهما آية من آيات الله في كتابه المسطور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾الآية ١٢ من سورة الإسراء.

فالفعل "نسلخ" هو أنسب ما يكون في التعبير عن فصل الليل عن النهار، لما بينهما من شدة اتصال وفرط مُلابَسَة: كما هو الحال في مُلابَسَة: جلد الشاة لها، فإذا ما أريد نزعه عنها، فإن ذلك لا يكون دفعة واحدة وإنما يتم بالسلخ برفق تدريجياً، وكذا الحال في تعاقب الليل والنهار على الأرض وتميز كل منهما عن الآخر إنما يجيء تدريجياً وببطه شيئاً فشيئاً كسلخ جلد الشاة عنها. ومما يؤكد دلالة هذا الفعل فيما يدل عليه من شدة الالتصاق بين الليل والنهار قوله تعالى: ﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ﴾الآية ١٨٧ من سورة البقرة. فكأن الحد الفاصل بين الليل والنهار هو خيط دقيق وهذا من بديع الدلالة على وصف هذه الظاهرة الكونية بهذه الأداءات التعبيرية.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

الشمس تجري، ولكن هل تجري على غير هدى؟ إذن لما كان هناك حياة لأنه لا حياة بلا نظام. فالشمس تجري ولكن إلى أين وإلى متى؟ إنّه الجري إلى أجل مسمى حين تستقر بعد الجري وذلك يوم القيامة والله اعلم.

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنها سائرة تجري إلى حيث ما قدّر لها أن تجري في الزمان والمكان الذي لا يعلمه إلا هو. سواء في حركتها من مبتدأ وجودها وجريها إلى

منتهى غايتها وسيرها، والسؤال الذي لا يبرح جوابه أذهاننا: من يرقب سيرها وجريها؟ ومن يضبط حركتها ومدارها؟ وهي جرم عظيم إنها في جريها المحكم تصدر عن تقدير الله العزيز العليم، وقد فسرّ أبو حيان العزيز العليم بقوله: (الغالب بقدرته كل مقدور، المحيط علماً بكل معلوم) (البحر المحيط ٧: ٣٣٢). وهو تفسير دقيق لدلالة الآية المعجزة في قوله تعالى: العزيز العليم.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

إنّ دلالة "قدرناه منازل" مرئية آثارها للعيان، فمن منا لا يرى القمر وهو يمر في مراحله الضوئية المختلفة، من هلال وبدر ومحاق؟. فمن الذي قدر أيام حركته في شهر قمري على مدى ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً؟ إن عبارة قدرناه منازل ذات دلالة معجزة إعجاز الظاهرة الكونية المتمثلة في خلق القمر وتقدير مراحل سيره وقوة ضوئه. وتغيّر ذلك تبعاً لتقدير منازله الثمانية والعشرين.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾، إن دلالة عاد والعرجون القديم هي أبلغ عبارة في الدلالة على وصف ما انتهى إليه القمر من حالات الإضاءة المكتملة وهو بدر بعد كونه هلالاً، إلى وضع يكون فيه محاقاً قليل الضوء مشبهاً في شكله عرق النخل اليابس المعوج. وكم في هذا التشبيه من دلالة خارقة ودقة بالغة في وصف هذه الظاهرة الكونية!

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

كلمة كُلٍّ في العربية نكرة ولكنها تدل على العموم، وهذه الدلالة على العموم هي التي سوّغت الابتداء بها، وإلا لما جاز الابتداء بالنكرة كما قال ابن مالك:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ... ما لم تفد كعند زيد نمره

وعليه فلما دلّت على العموم فقد قَرُبَت من المعرفة. وكلمة "كل" هنا تشمل كل ما في الوجود من موجودات، والإخبار هنا عن "كل" أنه يسبح في فلك (أي يدور)، فليس في الوجود شيء لا يسبح في فلك.

انظر إلى الإعجاز القرآني في دلالة كلمة "كُلٌّ" على الحقيقة العلمية التي تقول: إنه ما من جسم دقّ في جرمه وصغر، وما من جُرم عَظُمَ في حجمه وكبر إلا وهو يسبح في فلك. فالشمس تدور في فلك، والذرة التي هي وحدة صغيرة في الأشياء تدور في فلك، والأجزاء المكونة للذرة والكائنة في نواتها من نيوترونات وبروتونات والكترونات وكوارس هي أيضاً تسبح في أفلاكها وتدور.

أرأيت إلى هذا المبتدأ "كُلّ" كيف دلّ على العموم، وكيف أنه استغرق كل موجود في هذا الوجود حتى غدت كلمة "كُلّ" مختصرة غاية الاختصار، ولكنها تضمنت كل ما في الوجود من أشياء فكانت من جوامع الكلم.

ومن منا يصدق أنه وهو جالس على كرسيه يتحرك ويسبح في فلك بسرعة ثلاثين كيلومتر في الثانية تبعاً لحركة الأرض؟، مستذكرين قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾الآية ٨٨ من سورة النمل. إن هذه الآية القرآنية قد بلغت في إعجاز بيانها ما بلغته آية الله في خلق الأرض ودورانها الرفيق بنا إلى حد نحسبها جامدة، مع أن كل ما فيها حتى السحب تتبعها في حركتها. (اسرار الكون في القرآن ص ١٦٨).

وانظر إلى الإعجاز القرآني في دلالة الفعل يعرجُ ومشتقاته في الآيات الكريمة الآتية:

١- ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾الآية ٥ من سورة السجدة.

٢- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾الآية ٢ من سورة سبأ.

٤- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾الآية ٤ من سورة الحديد.

٥- ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾الآية ١٤ من سورة الحجر.

٦- ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾الآية ٣٣ من سورة الزخرف.

٧- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾الآيات ١ - ٣ من سورة المعارج.

٨- ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾الآية ٤ من سورة المعارج.

لقد ورد الفعل يعرج ومشتقاته سبع مرات في القرآن الكريم. وإنّ ورود هذا الفعل ومشتقاته خاصة دون غيره للدلالة على الصعود في السماء لهو إعجاز لغوي مرتبط بظاهرة علمية كونية. وقبل الوصول إلى هذه الحقيقة العلمية التي اقتضت ذكر الفعل عرج ويعرج والمعارج والمعراج، نعرف أن معنى العروج والتعريج هو السير في انحناء، ومنه التعريج وما يوحيه من معنى اللف والاستدارة. فلماذا كان الفعل يعرج بدلاً من غيره؟ وكم قد توقفت عند هذا الفعل وقلت في نفسي: أليس يعرج والتعريج معناهما السير على غير استقامة؟ فيكون جوابي: بلى، ثم أعاود النظر في دلالة الفعل (يعرج) وفي دلالة (المعراج) و (المعارج) فأقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾الآية ١٤ من سورة الملك، فالجواب: بلى، واقتنع أن هذا الفعل لو كان غيره أنسب منه لما ورد هو في القرآن الكريم والله بكل شيء محيط. إذن فهذا الفعل يعرج وما لاقاه في الاشتقاق هو الفعل الذي يناسب السير في الفضاء، وإلا لورد غيره.

ثم أعاود النظر في هذا الكون الفسيح، فيشد انتباهي انطلاق السفن الفضائية إلى الفضاء الرحيب، فأراها من خلال مشاهد التصوير لا تسير في خط مستقيم، وإنما تسير متعرجه، وأنها جميعاً لا يمكنها أن تنتقل في سيرها من كوكب إلى آخر في خط مستقيم،

وإنما تسير في حركة دائرية متعرجة، وذلك لانعدام الاستقامة في حركة الأجسام السيارة، فهذا الجسم الصاعد في السماء مضطر إلى التعرج ليخترق جاذبية جرم، ولينفذ إلى مجال جرم آخر. فأيقنت عندها مدى الإعجاز القرآني في دلالة الفعل (عرج) ومشتقاته. وعدت أستذكر قوله تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ بلى إنه يعلم كل ما خلقه وما يوافق هذا الخلق من دلالة التعبير، فهو وحده الأقدر على وصف عظيم صُنعه. ومحكم خلقه.

(ب) الإعجاز الدلالي في مجال الكيمياء:

الله خلق كل شيء فقدّره تقديراً، وقد تضمنت أربع آيات ذكر هذه الحقيقة وهي:

١- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾الآية ٢ من سورة الفرقان.

٢- ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾الآية ٨ من سورة الرعد.

٣- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾الآية ٢١ من سورة الحجر.

٤- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾الآية ٤٩ من سورة القمر.

تدل الآيات الأربعة السابقات على أن الله خلق كل شيء بمقدار معين فالكلمات: قدّر، وتقدير، ومقدار، وقَدَرَ ذات دلالة كاشفة للفهم عما حوته هذه الآيات من جوامع الكلم، فكل ما في هذا الوجود من مكونات وعناصر ومركبات إنّما هي بمقدار، وأن كل شيء عنده موزون، ولولا ذلك لاختل الوجود وانعدمت الحياة. فهذه الآيات على إيجازها قد بلغت الغاية في أسباب إعجازها، يقول علماء الكيمياء: (إنّ وجود جزيء الماء في الطبيعة على شكل زاوية مقدارها ١٠٨ درجة تقريباً، جعل هذا الجزيء مشحوناً شحنة جزئية أدت إلى تكوين رابطة هيدروجينية، مما ترتب على هذه الرابطة أن يبقى الماء في حالة سائلة حتى درجة الغليان وهي درجة ١٠٠ مئوية، وهي أعلى درجة يحتمل الماء البقاء فيها سائلاً.

ولولا وجود هذا الشكل الزاوي لهذا الجزيء لما أصبح مشحوناً، ولزالت الرابطة الهيدروجينية، ولأصبحت درجة غليان الماء تبعاً لذلك -٧٠؛ (أي سبعين درجة مئوية تحت الصفر) الأمر الذي يعني استحالة وجود الماء في الحالة السائلة فوق هذه الدرجة، ولانعدمت الحياة.

(ج) الدلالة الإعجازية في مجال الأحياء:

يقول الله سبحانه وتعالى في الإشارة إلى خلق الإنسان:

١- ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾الآية ٤ من سورة النحل.

٢- ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾الآية ٣٧ من سورة الكهف.

٣- ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾الآية ٥ من سورة الحج.

٤- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾الآيتان ١٢، ١٣ من سورة المؤمنون.

٥- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾الآية ١٤ من سورة المؤمنون.

٦- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾الآية ١١ من سورة فاطر.

٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾الآية ٧٧ من سورة يس.

٨- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾الآيتان ٤٥، ٤٦ من سورة النجم.

٩- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾الآيتان ٣٧، ٣٨ من سورة القيامة.

١٠- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾الآية ٢من سورة الإنسان.

١١- ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ * قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾الآيات ١٦ - ١٩ من سورة عبس.

هذه الآيات الإحدى عشرة ذكرت خلق الإنسان مقروناً ببداية مرحلة الخلق الثانية وهي النطفة، أي بعد خلق آدم من التراب. وهذه الآيات تصف مراحل تخلق الإنسان

وتسلسل خلقه من عهد آدم وانتهاءً بذريته وصفاً دقيقاً يجلّ عن وصفه أي كلام آخر غير القرآن، فبعد خلق آدم من الطين تحدرّت ذريته منه، فكانت المرحلة الثانية وهي النطفة التي وصفها في آية الدهر بأنها "أمشاج" وأمشاج معناها: مزيج وأخلاط، وفي هذا إشارة دالة على أصل تكون هذا الإنسان من أخلاط وأمزجة كثيرة ناجمة عن اختلاط ماء الرجل بماء المرأة وما يتبع ذلك من مراحل الدم و العلقة.

وقد لا يُعير المرءُ بالاً لهذه الكلمة (النطفة) لأنه ينسى، ولكن إذا قيل له: إن نطفة دمرّت مدينة! فإنّه لن يستوعبها ولن يصدقها، ولكن إذا قلت له إن ذلك الطيّار الذي ألقى القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما اليابانية كان نطفة، فسوف يصدق، ولكن أبلغ من هذا وذلك في التعبير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.

إن دلالة النصّ القرآني على وصف مراحل خلق الإنسان وأطراد هذا الوصف في جميع الآيات التي عرضت لموضوع الخلق من التراب ثم من النطفة ثم من العلقة ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة، ثم كيف يكون رجلاً سوياً، ثم كيف يموت أو يعود إلى حالة بائسة حيث يشيخ ويهرم، ولا يعود عالماً بما كان يعلمه من قبل. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾الآية ٥ من سورة الحج.

وانظر إلى إعجاز القرآن المتمثل في دلالة الآية على خلق الإنسان، ومراحل تخلّقه في بطن أمه، وهو قابع في ظلمات ثلاث.

قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾الآية ٦ من سورة الزمر.

لو كان الخلق دفعة واحدة لما تبع ذلك قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ فمراحل الخلق المتعددة التي أشرنا إليها آنفاً، قد عبّرت عنها الآيات بإيجاز جامع لكل هذه المراحل مع ذكر مكان هذا التخلّق في ظلمات ثلاث. وكم مرّة فطن أحدنا إلى مبتداه حيث كان نقطة مدرة ثم كمن في ظلمات ثلاث إلى أجل معلوم قبل أن يغادر هذه الظلمات الثلاث إلى نور الحياة الدنيا؟.

يقول محمد الأرناؤوط صاحب كتاب (الإعجاز العلمي في القرآن ص ٣٣١): (كشف لنا العلم أن الخلق بداخل الرحم وظلمته يتم على أطوار خلقاً من بعد خلق، وانه يجري داخل ظلمات ثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة غلاف الأمينوس (كيس الماء) وكل غرفة منها داخل الأخرى والجنين في قلبها، وهي حقائق تشريحية، أو هي ظلمات الأغشية الثلاث).

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾الآية ٣٠ من سورة الأنبياء. كم في الآية من إعجاز في الدلالة على جعل الله الماء في كل شيء من الأحياء، وجاء التقديم في ذكر الماء على كل شيء حي لأهمية وجوده في كل ما فيه الحياة. ويزيد هذا الأمر تأكيداً مجيء هذه الحقيقة الدالة على جعل الماء عنصراً جوهرياً في الأحياء عقيب مطلع الآية التي تدل على بداية خلق الأرض وفصلها أو فتقها عن السماء، وإيداع الله الماء المسبب للحياة فيها.

قال تعالى: : ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾الآية ٣٠ من سورة الأنبياء. ففي مطلع هذه الآية إشارة إلى بداية الإنفجار الكوني أو ما سماه العلماء بالنظرية السديمية وكانت الحياة، وخلق الله من الماء كل شيء.

رابعاً: الإعجاز الصوتي:

إنّ كل ما جاء في كتاب الله من حروف وكلمات، وتراكيب وآيات هي معجزات باهرات، فليس في كتاب الله حرف واحد يغني غيره عنه، أو ينقص منه أو يزيد عليه. وكل حرف فيه مؤتلف مع غيره في إعجاز مبناه ومعناه، وفي إيقاع جرسه وصوته، وفي ترتيب عدده مع غيره، وفي موقعه النظمي من منظومة القرآن التي أحصاها الله وعدّها عداً.

تأمل قول الحق ـ سبحانه تعالى ـ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾الآيتان ٣٣، ٣٤ من سورة عبس. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ مَا سَعَى﴾الآيتان ٣٤، ٣٥ من سورة النازعات. وكذلك: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾الآيتان ١، ٢ من سورة الحاقة. فإذا أمعنت النظر في: الصّاخّة، والحاقه والطامة وجدتها قد جاءَت على نسق واحد في الوزن، وفي جرسها الصوتي المدوّي، وهو جرس صوتي قويّ متناسب مع ما تدلّ عليه هذه الألفاظ من أحداث عظام ومشاهد جسام ترافق اليوم الآخر.

فلفظه الصاخّة والحاقّة والطّامّة يطول فيها المدّ الناجم عن حرف الألف ثم يعود الصوت مرتطماً بالشدّ بعد المدّ حيث يتلاشى الصوت ويتبدد، كما ترتطم أجرام الكون من مداها البعيد فيما بينها حينما ينفرط عُقدها.

كما يلاحظ هنا الربط المحكم بين الحدث وهو يوم القيامة، وما يليه من أحداث ذلك اليوم ومستلزماته، فإذا جاءَت الصاخّة وكم في الصاد من صلصلة صاعدة، وكم في الخاء المشدّدة من تفخيم وتهويل وترويع يوم القيامة حين يفرّ المرء من أخيه.

وكذا الحال في الحاقّة وكم في الحاء والقاف من شدّة وتفحيم. وكذلك الطامّة، وما في الطاء من استعلاء وما في الميم من اطباق بعد الاستعلاء.

وتأمل ما في هذه الآية من جرس صوتي مُفزع في "صَعِق" عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّور فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّـهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ

أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾الآية ٦٨ من سورة الزمر. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾الآية ١٩ من سورة البقرة.

إنّ دلالة الفعل "صعق" صوتياً توحي بالأحداث الجسام التي ستقع يوم القيامة، فجاء الفعل "صعق" متناسقاً في جرسه الصوتي، وفي إيقاعه السمعي مع أحداث يوم القيامة الذي تصعق فيه الخلائق، إلا من شاء الله، إذ إنّ هذا الصوت الشديد واضح من اجتماع حرف الصاد والعين والقاف، وهذه دلالة صوتية معبرة عن شدة هول الحدث أيما تعبير.

يقول ابن منظور في تفسير صعق في لسان العرب: (صُعِق الإنسان، صَعْقاً، وصَعَقاً فهو صَعِق: غُشي عليه، وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة، وصَعِق: صَعْقاً وصَعْقاً، وتصعاقاً فهو صَعِق: مات. والصاعقة الموت، وقال آخرون كلٌ عذاب مهلك) (اللسان: مادة صعق).

وهكذا إذا قلبت نظرك وأرعيت سمعك أخذتك أصوات هذه الحروف، وهزتك هزاً في كل موضع جاءَت فيه على هذا الحال من الشدّة والقوة، أو هدهدتك بلين ورفق في كل موضع جاءَت فيه الحروف على هذا الحال من اللين والخفة.

خامساً: الإعجاز النحويّ:

(١) في الحروف:

الإعجاز النحويّ في حروف المباني والمعاني ملحوظ في كل حروف العربية التي وردت في القرآن الكريم سواء لغاية الربط بين الكلام، أو لغايات أخرى كثيرة متعددة ومتنوعة تنوع الأغراض التي وردت من أجلها، ومن هذه الحروف:

(أ) ألم و أوَلم و أفَلم:

قال تعالى: **(أَلَمْ يَرَوا)** وقال في غيرها: **(أولَم يَروا)** وَرَدَ الاستفهام في القرآن الكريم حيناً بصيغة (ألم يروا) كما في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾**الآية٦

من سورة الأنعام. وتكرر هذا الاستفهام أيضاً في الآية ١٤٨ من سورة الأعراف: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾. وكذلك في الآية ٧٩ من سورة النحل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ﴾. وفي الآية ٣١ من سورة يس: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾.

وورد الاستفهام بصيغة: (أولم يروا) كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾الآية ٤١ من سورة الرعد. وتكرر هذا الاستفهام بهذه الصيغة اثنتي عشرة مرة في سورة النحل:٤٨، والإسراء:٩٩، والشعراء:٧، والعنكبوت:١٩، والعنكبوت:٦٧، والروم:٣٧، والسجدة:٢٧، وسبأ:٩، ولكن بصيغة "أفلم"، ويس:٧١، وفُصلت:١٥، والأحقاف:٣٣، والملك:١٩.

فهل هناك من فرق بين الاستفهامين: (أَلَمْ يروا) و (أَوَلَمْ يَروا) ومثلها: (أَفَلَمْ يروا)؟.

نعم هناك فرق واضح يكشف عن إعجاز لغويّ باهر ومن بديع ما في ذلك من إعجاز لغوي ما أجاب عنه ابن بري كما جاء في كتاب (أربعة كتب في علوم القرآن:٢٠) حيث قال: {لِمَ قال في الأنعام: "ألم يروا" وقال في غيرها: "أولم يروا"؟ فالجواب: وذلك ما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ذكره بالألف و واو العطف أو فائه. وما كان الاعتبار فيه بالاستدلال ذُكر بالألف وحده. ولا ينقض هذا الأصل قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾الآية ٧٩ من سورة النحل، لاتصالها بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾الآية ٧٨ من سورة النحل. وسبيلها الاعتبار بالاستدلال فبنى: (أَوَلَمْ يروا) عليه}. انتهى.

(ب) بلى:

قال فيها ابن عطية في (المحرر الوجيز في تحرير الكتاب العزيز ج١: ٣٣٤): (بلى: ردّ بعد النفي بمنزلة نعم بعد الإيجاب)، ف "بلى" حرف جواب يفيد الإثبات بعد استفهام داخل على نفي، وبعد كلام منفي، ومنهم من جعلها حرف إضراب بعد كلام منفي.

وفي كل مرّة جاء فيها الاستفهام داخلاً على النفي في القرآن الكريم كانت بلى هي جواب الاثبات على ذلك، ولم يحدث أن جاءت "نعم" ولو مرّة واحدة جواباً لاستفهام داخل على نفي، ولقد أحسن ابن عباس حين قال في معرض ذكر الآية ١٧٢ من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى﴾ قال: لو قالوا نعم لكفروا جميعاً، وغدا هذا قاعدة مطّردة، وفي هذا دليل واضح على الإعجاز اللغوي الذي اطّردت ظاهرته في مثل هذه المواضع في تسعة عشر موضعاً من القرآن الكريم. وإليك الشواهد على ذلك في الآيات الآتية:

١- ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

٢- ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ... * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾الآيتان ٧٥،٧٦ من سورة آل عمران.

٣- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى﴾الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

٤- ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾الآية ٢٨ من سورة النحل.

٥- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ الآية٣٨ من سورة النحل.

٦- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى: وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾الآية ٨١ من سورة يس.

٧- ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * ... * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾الآيات ٥٦ ـ ٥٩ من سورة الزمر.

٨- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ... قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الآية٧١ من سورة الزمر.

٩- ﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى ﴾الآية ٥٠ من سورة غافر.

١٠- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾الآية ٨٠ من سورة الزخرف.

١١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾الآية ٣٣ من سورة الأحقاف.

١٢- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ﴾الآية ٣٤ من سورة الأحقاف.

١٣- ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾الآية١٤من سورة الحديد.

١٤- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا، قُلْ: بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾الآية ٧ من سورة التغابن.

١٥- ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا: بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾الآيتان ٨، ٩ من سورة الملك.

١٦- ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى: قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾الآيتان ٣، ٤ من سورة القيامة.

١٧- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾الآيتان ١٤، ١٥من سورة الإنشقاق.

(ج) إعادة السؤال بالمبتدأ عن يوم القيامة بـ (وما أدراك)؟ و (ما يدريك)؟

لقد تكررت إعادة السؤال بنفس المبتدأ عن يوم القيامة، واضطردت هذه الإعادة مع كل مرادف ليوم القيامة. وإليك الآيات الشاهدات على ذلك.

١- ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾الآيات ١ - ٣ من سورة الحاقة.

٢- ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة المدثر.

٣- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾الآية ١٤ من سورة المرسلات.

٤ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾الآية ١٧ من سورة الإنفطار.

٥ـ ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾الآية ١٨ من سورة الإنفطار.

٦ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾الآيتان ٨، ٩ من سورة المطففين.

٧ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾الآيتان ١٩، ٢٠ من سورة المطففين.

٨ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾الآيتان ١٢، ١٣ من سورة البلد.

٩ـ ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾الآيات ١ ـ ٣ من سورة القارعة.

١٠ـ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾الآيتان٩، ١٠ من سورة القارعة.

١١ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾الآيتان ٥، ٦ من سورة الهمزة.

أرأيت إلى هذا الاستفهام كم فيه من تهويل وترويع؟! ثم أرأيته كيف يتكرر مع جميع الآيات التي فيها ذكر يوم القيامة أو مرادفاتها وأهوال ذلك اليوم الجسام؟، إن الاستفهام على هذه الشاكلة لم يرد إلا في ذكر أمر عظيم الشأن جليل القدر، كما ورد في يوم القيامة وقد ورد في موضعين آخرين عظيمي القدر والشأن وهما: ليلة القدر، وكذلك في سورة الطارق. قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾الآيتان ٢، ٣ من سورة القدر. وجاء في سورة الطارق قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾الآيات ١ ـ ٣ من سورة الطارق. ولا أظنّ الأيام تمضي حتى يتكشّف للعلماء من خصائص هذا النجم وسماته ما يخلب الألباب، ويكشف عن مدى الإعجاز في هذه السورة الكريمة.

(د) مجيء الاستفهام في الجملة الفعلية بـ (وما يدريك لعلّ الساعة):

كما جاء الاستفهام بصيغة "وما أدراك"؟ كذلك جاء بـ "وما يدريك"؟ فهل بينهما من فرق في الاستعمال؟ وبمعنى آخر متى يُسأل بـ "وما أدراك"؟ ومتى يُسأل بـ "وما يدريك"؟.

لقد فرّق النحويون بينهما فقالوا: إنّ كل ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: (وما أدراك) فإنّ الله ـ عزّ وجل ـ أدراه وأعلمه به، وكل ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى:

(وما يدريك) فإن الله ـ عزّ وجل ـ استأثر به ولم يعلمه به. وهذه المواضع هي:

١ـ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾الآية ٦٣ من سورة الأحزاب.

٢ـ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾الآية ١٧ من سورة الشورى.

٣ـ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾الآية ٣ من سورة عبس.

(الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١٨:٢٥٧) وكذلك: (شواهد في الاعجاز القرآني، عودة أبو عودة: ٣٨٩).

(٢) المستوى الصرفي:

جاء في سورة يونس ـ عليه السلام ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ﴾الآية ١١ من سورة يونس. والمتأمل في المصدر من الفعل استعجل يرى أنه لا بد أن يكون "استعجالاً" والمصدر من الفعل عجّل هو تعجيل، أمّا وأنه لا يوجد في الآية الفعل استعجل وإنما الموجود هو الفعل يُعجِّل، كان ينبغي أن يجيء المصدر (تعجيلاً) على مألوف ما هو مستعمل في لساننا، ولكنّ مجيء المصدر (استعجالهم) بدلاً من "تعجيل" فيه إعجاز لغوي على المستوى الصرفي المذهل.

فالألف والسين والتاء هذه الزيادات تفيد الطلب، والطلب لا يكون إلا للمحتاج وهم الناس، وعليه فقد جاء المصدر مناسباً لهم وهو (استعجالهم) مع أن مصدر الفعل يعجِّل هو تعجيل. ولو جاء المصدر (تعجيلاً) مكان "استعجال" وحاشا لله أن يكون ذلك لانضام إعجاز القرآن، ولكن ذلك محال على الله وكتابه.

(٣) المستوى البلاغي:

أـ الإيجاز الجامع أو جوامع الكلم:

وقد عرّفه السيوطي في كتابه: (الاتقان في علوم القرآن ٢: ١٥٠) بقوله: (إنّ يحتوي اللفظ على معان متعددة، نحو: "إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان").

والإيجاز الجامع هو أحد الوجوه البلاغية التي يمتاز بها القرآن الكريم، فكم من آية جاءت موجزة في ألفاظها، قليلة في مفرداتها، ولكنها طافحة في أفكارها ومعانيها، ويتضح هذا الجانب البلاغي في كثير من الآيات القصار التي اتسعت لكثير من المعاني، وتلقفها الناس يرددونها على ألسنتهم حكمة بالغة يتمثلون بها في مواقف الحياة المتعددة ومن هذه الآيات الجامعة والحكم البالغة قوله تعالى:

١- ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾الآية ١٥ من سورة الإسراء.

٢- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

٣- ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾الآية ٧٧ من سورة القصص.

٤- ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾الآية ٨٤ من سورة الإسراء.

٥- ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾الآية ٣٢ من سورة الروم.

٦- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾الآية ٢٦ من سورة الرحمن.

٧- ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾الآية ٢٧ من سورة الرحمن.

٨- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾الآية ٣٨ من سورة المدثر.

٩- ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾الآية ٧ من سورة الغاشية.

١٠- ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾الآية ١٩ من سورة المعارج.

١١- ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾الآية ١٣ من سورة الكهف.

لقد استفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعراً، فقالت أبعد قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾الآية ٧ من سورة القصص. فقد جمع الله ـ عز وجلّ ـ في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين، انتهى قول المرأة. (البحر المحيط: ٧: ١٠٠-١٠١).

وانظر إلى هذه الآية الجامعة مراحل نمو الإنسان، المعبرة عن تقلبات أحوالـه طـول سني عمره في سطرين اثنين.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾الآية ٥٤ من سورة الروم.

في قوله تعالى خلقكم من ضعف إشارة إلى نشأة الإنسان وخلقه من نطفة، ومروره في مرحلة التخلق الأولى وما صاحبها من هوان وضعف، واحتياج كامل للآخرين إلى مـا دون الاعتماد على الذات وهي مرحلة القوة.

إنّ في هذه الآية من البلاغة المشتملة على جوامع الكلم بعبارتها الموجزة وألفاظـها القليلـة، ولكنها مليئة بالمعاني الكثيرة التي تتجاوز الفصول والصفحات، والتي يطول فيها الكلام.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وهي أيضاً آية جامعة، لأنـها تدل على مرحلة هامة من مراحل نمو النفس البشرية وتطورها، وهي مرحلـة القـوة الـتي تميز المرء بالعمل والعطاء والسجل الحافل بالأعمال خيرها وشرّها وهي مرحلة تمتد عـبر عقود من السنين، ولكنها جاءت في تعبير جامع وجيز.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ وإشارة الآية إلى مرحلـة عمرية ثالثة، وهي تحوّل المرء من حال الجبروت والقوة والسلامة والصحة، إلى حالة من الضعف والهوان والمرض، لقد سمع كل واحد منا بذلك البطل محمد علي كـلاي، الـذي تربع على عرش بطولة الملاكمة زمناً طويلاً، وغلب كل من نازله في حلبة النزال، وحمل لقب أقوى رجل في القرن العشرين، إنه الآن صار من بعد قوة إلى ضعف، حتى لا يكـاد يهدّي من مكانه، وتراه مرتعشاً مرتجفاً حين يسير متحاملاً على غـيره، لأنـه في مرحلـة الضعف بعد القوة.

وانظر إلى إعجاز الآية في إيجازها عند قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ كم في الكون من مخلوقات قوية وضعيفة؟ دقيقة وكبيرة؟ فالله وحده هو صاحب العلم بكل ما كان من خلقه ضعيفه وقوية، وما هو كان وما سيكون، ـ وهو وحده القدير على إنشاء هذا الخلق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ فانظر إلى هذه الآية على إيجازها إلا أنها جمعت من المعاني كل ما خلقه الله في هذا الوجود منذ أن كان صغيراً وضعيفاً إلى أن نما وترعرع وصار قوياً وكبيراً، في كلمات موجزه في عددها، ولكنها جامعة في أفكارها ومعانيها؛ دالة على عظمة الله سبحانه وتعالى: وقد قال الزمخشري في تعقيبه على تفسير هذه الآية في (الكشاف ٣: ٢٢٧): (وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر) وهو حقاً من إعجاز الله في كتابه المدلول عليه في خلقه.

ب ـ التقديم والتأخير على مقتضى الحكم المرعية:

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾الآية ١٤ من سورة آل عمران.

انظر إلى إعجاز القرآن في ترتيب عناصر متع الحياة الدنيا من نساء وأولاد... الخ في الآية الكريمة وتسلسل ورودها وفقاً لأهميتها في استحواذ الشهوة البشرية عليها. فأول ما تزيّن الشهوة للمرء من هذه المتع هو المرأة، حتى إذا حازها تطلع إلى البنين. أرأيت كيف عبرت الآية عما في دخائل النفس البشرية من شهوات؟ فشهوة النساء تسبق، وبها فيما بعد تأتي شهوة الأبناء وتلحق، ثم يلي ذلك من حيث الأهمية تعلق النفس بالذهب، ولكنه ليس أثمن ولا أقوى في النفس من المرأة والولد، بدليل لجوء المرء إلى بيع الذهب وافتداء المرأة والولد به. وهذا الذهب سبق الفضة لنفاسته وتعلق النفس به، ثم

تليه الفضة ثم تليها الخيول المعلّمة فهي المقدّمة على غيرها من الأنعام كالجمال والبغال وغيرها، لما لها من وظيفة في حياة الناس العملية، ثم يلي ذلك الحرث.

إنّ المدقق في الآية الكريمة السابقة يلمح وجوهاً شتى من الإعجاز البلاغي، ففي الآية ذكر للشهوات مجموعة على سبيل الإجمال ثم أخذ في تفسيرها شهوة شهوة. وفي ذلك يقول صاحب (البحر ٢: ٤١٣-٤١٤): (ثم أخذ في تفسيرها شهوة شهوة ليدل على أن المزيّن ما هو إلا شهوة دنيوية لا غير، فيكون في ذلك تنفير عنها وذم لطالبها، وللذي يختارها على ما عند الله.

وبدأ في تفصيلها بالأهم فالأهم، بدأ بالنساء لأنهن حبائل الشيطان وأقرب وأكثر امتزاجاً (ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء)... وثنى بالبنين لأنهم من ثمرات النساء وفروع عنهن، وشقائق النساء في الفتن "الولد مبخلة مجبنة"... وقدّموا على الأموال لأن حب الإنسان ولده أكثر من حبه ماله... و"البنين": يشمل الإناث وغلّب التذكير. (القناطير المقنطرة): ثلّث بالأوال لما في المال من الفتنة، ولأنه يحصل به غالب الشهوات، ولأن المرء يرتكب الأخطار في تحصيله للولد).

وانظر إلى التحذير الوارد بعد تفصيل هذا المتاع في قوله تعالى: ذلك: أي هذه المزينات من الشهوات (ذلك متاع الحياة الدنيا) أي كل ذلك إنما هو متعة زائلة فانية فلا يغتر بذلك أحد، ولا ينسيه ما عند الله من نعيم الآخرة الذي لا ينقطع.

وانظر إلى قول الحقّ جلّ وعلا في بداية الآية: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ فجاء بكلمة الناس وهي كلمة جامعة لأنواع الناس كافة ولآجناسهم عامة مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم أبيضهم وأسودهم في تزيين الشهوات لنفوسهم على اختلاف مراتب هذا التزيين عندهم. فالتزيين حاصل عند جميع الناس، ولكنّ درجة كبح المرء لهذا التزيين تعتمد على درجة إيمانه ومدى تعلقه بالحياة الدنيا أو الآخرة. والله عنده حسن المآب.

ومن التقديم والتأخير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾الآية ٤٥ من سورة النور. فقد تقدّم ذكر من يمشي على بطنه في الآية الكريمة وفقاً للإعجاز القرآني المطّرد في التقديم والتأخير بناء على الترقي في أعضاء الخلقة: للحيوانات المخلوقة، إذ منها الذي يزحف على بطنه لانعدام الأرجل، ومنها ما يمشي على رجلين، ومنها ما يمشي على أربع.

ومن التقديم والتأخير قوله تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ... وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾الآيات ٥ ـ ٨ من سورة النحل.

وانظر إلى إعجاز القرآن في هذا التقديم المطّرد لذكر الإنفاق سراً على الإنفاق علناً، نظراً لما في ذلك من أجر أكثر من الإنفاق جهراً، وفي كل خيْر.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾الآية ٢٧٤ من سورة البقرة. فقدّم الليل على النهار في باب الإنفاق والصدقة لأن الإنفاق في الليل أستر وأجره أكثر.

١ـ ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾الآية ٢٢ من سورة الرعد.

٢ـ ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً ﴾الآية ٣١ من سورة إبراهيم.

٣ـ ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾الآية ٧٥ من سورة النحل.

٤ـ ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾الآية ٢٩ من سورة فاطر.

أرأيت إلى إعجاز القرآن الكريم في تقديم الإنفاق سراً على الإنفاق علناً في الآيات الخمسة وذلك لما في ذلك من أجر في الصدقة الخفية. ويؤكد ذلك حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ـ عز وجل ـ ورجل قلبُه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا

عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه (رياض الصالحين ١: ٢٨٠-٢٨١).

وانظر إلى التقديم والتأخير تبعاً للزمن المتعلق بالمقدّم والمؤخرَ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾الآيتان ٣، ٤ من سورة آل عمران.

وانظر إلى التقديم والتأخير والإعجاز في ذلك تبعاً لسبق التنزيه كما جاء في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

وانظر إلى إعجاز الله في تقديم السمع على البصر والفؤاد في كل موضع ذكر ذلك فيه، وذلك نظراً لسبق حاسة السمع في العمل قبل حاسة البصر قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾الآية ٣١ من سورة يونس. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾الآية ٧٨ من سورة النحل. ﴿أنشأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾الآية ٧٨ من سورة المؤمنون. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾الآية ٩ من سورة السجدة. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾الآية ٢٣ من سورة الملك. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾الآية ٢٦ من سورة الأحقاف.

ج ـ تناسب الفواصل القرآنية:

أما الفواصل القرآنية فهي كلمات أواخر الآيات المتشابهات في إيقاعها الصوتي، وهي ميزة للقرآن الكريم عما عداه من الكلام، وبتناسب الفواصل القرآنية في جرسها الصوتي في نهايات الآيات، يتحقق الإعجاز الصوتي البديع الذي ليس له في كلام العرب شبه ولا شبيه، فهذا الإيقاع الصوتيّ له نسقه الخاص به، وهو إيقاع يقصر دونه السجع، ويألفه الحس والسمع ففي السجع الإنساني تموت المعاني من شدة حرص

المتكلم على التـأنق البديعـي،أمـا في الفواصـل القرآنيـة فتتـألق المعـاني وتتـلألأ الألفـاظ، وتتناغم الأصوات حتى تتحقق الوحدة بين الأصـوات والمعـاني، فـلا تفـاوت بـين اللفـظ والمعنى، ولا يستأثر جانب بمزية على الجـانب الآخـر، و إنمـا هـو نسـق قرآنـي واحـد متشابه في مبناه وفي معناه وفي نسقه الصوتي والدلالي.

ونسوق شاهداً على ذلك ما ورد في سورة طه، إذ تتابع مجيء التناسب الصوتـي في فواصلها من بداية حرفي فاتحتها وهمـا طـه حتـى نهايـة السـورة، فجـاءَت متناغمـة في جرسها الصوتي حيث وردت الألف في نهايات الآيات أكثر من تسعين مرّة مـن مجمـوع آياتها البالغة مائة وخمساً وثلاثين آية. وقد تكرر ذكـر (موسـى) ـ عليـه السـلام ـ سـبع عشرة مرة في هذه السورة وكان موقعه في نهايات الآيـات، وكـانت إحـدى هـذه الآيـات قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾الآية ٦٧ من سورة طه. حيث تقدم الضمير في (نفسه) على الاسم الظاهر (موسى) وذلك رعياً للفواصـل القرآنيـة، وهـذا الضمير وإن تقدم لفظاً إلا أنه مؤخـر تقديـراً، ولـذا جـاز فيـه التقديـم، وهـذا هـو رأي البصريـين في (الإنصاف: ٢٥٠ـ٢٥٣).

وإليك بعضاً من هذه المفردات التي تناسب إيقاعها الصوتي في سورة طه:

طه١	تشقى٢	يخشى٣	العُلى٤	استوى٥
الثرى٦	أخفى٧	الحسنى٨	موسى٩	هدى١٠
موسى١١	طوى١٢	يوحى١٣	ذكري١٤	تسعى١٥
فتردى١٦	موسى١٧	أخرى١٨	موسى١٩	تسعى٢٠
الأولى٢١	أخرى٢٢	الكبرى٢٣	طغى٢٤	صدري٢٥

وانظر إلى سورة الشمس التي جاءَت من أولها إلى آخرها في أنساق صوتية متناغمـة، وإيقاعات تحبيرية متلاحقة، وأنغام رتيبة متناسقة، من غـير أن يكـون شـيء مـن ذلـك

على حساب المعنى، وإنما جاءَت ألفاظها المنغومة غاية في بلاغة المعنى. حيث استُهلت بقسم الله بالشمس وضحاها والقمر والليل والنهار والسماء والأرض التي هي من آيات الله الكونية، ثم النفس البشرية الفاجرة والتقية، وعاقبة كل منهما، وعاقبة الذين كذّبوا رسلهم، ومن هؤلاء قوم ثمود الذين كذبوا رسولهم - صالح - وعقروا ناقته المعجزة وتدمير الله لهم.

إنّ هذه السورة وآياتها هي واحدة من سور القرآن الكريم وآياته التي جاءَت متناسبة في نهاياتها، فكانت نمطاً فريداً من حيث الإيقاع الصوتي، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾سورة الشمس. صدق الله العظيم.

هذا شاهد من العديد من الشواهد التي يضيق المجال عن ذكرها.

قائمة المصادر والمراجع:

١ـ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تقديم ومراجعة، محمد شريف سكّر، ومصطفى القصاص، الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٨٧م.

٢ـ أربعة كتب في علوم القرآن: للمهدوي وآخرين، تحقيق حاتم صالح الضامن، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

٣ـ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مكتبة القاهرة، ط٣، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٤ـ أسرار الكون في القرآن: داود سلمان السعدي، بيروت: دار الحرف العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: محمد السيد أرناؤوط، القاهرة: مكتبة مدبولي(ب.ت).

٦ـ إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسات السابقين: عبد الكريم الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٥م.

٧ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٩، ١٩٧٣م.

٨ـ إعجاز القرآن: محمد عبد الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف، ط٤، بدون تاريخ النشر.

٩ـ الإنصاف في مسائل الخلاف: لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ نشر.

١٠ـ البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق وتقديم مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م.

١١- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، تحقيق إبراهيم صالح، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٧م.
١٢- تفسير البحر المحيط: أبو حيّان الأندلسي، دراسة وتحقيق، مجموعة من الأساتذة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣.
١٣- ثلاث رسائل في الإعجاز: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق، محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦.
١٤- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦م.
١٥- رياض الصالحين: لأبي زكريا النووي، ضبط وشرح صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٠م.
١٦- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق، محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٧- سر الإعجاز في تنوّع الصيغ المشتقه من أصل لغوي واحد في القرآن: عودة الله منيع القيسي، عمان: دار البشير، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٨- شواهد في الإعجاز القرآني: عودة أبو عودة، عمان: دار عماد، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩- صحيح مسلّم بشرح النووي، بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٠- الطبقات الكبرى: ابن سعد، تقديم، إحسان عبّاس، بيروت: دار صادر، ١٩٨٥م.
٢١- علم وبيان من آيات القرآن: عبد الرزاق نوفل، القاهرة: مؤسسة أخبار فيوم، ١٩٨٧م.
٢٢- القرآن وعلم الفلك: أحمد جبالية، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٩١م.
٢٣- الكشاف عن حقائق التأويل من أسرار التنزيل: لأبي القاسم الزمخشري.

٢٤ـ لسان العرب: ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت.

٢٥ـ مجلة بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المنعقد بمدينة السلام بغداد للمدة ٢١ـ٢٦ رمضان ١٤١٠هـ، ١٦ـ٢١ نيسان ١٩٩٠م. الجمهورية العراقية ـ وزارة الأوقاف للشؤون الدينية.

٢٦ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد بن عطية الغرناطي، تحقيق وتعليق، أحمد صادق الملاح، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط١، ١٩٧٤م.